

معالم التلاقي بين الفلاسفة المسلمين والأصواتيين المحدثين دراسة في المصوّتات العربية .

أ. نصيرة شيادي

جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان .

توطئة: لا شك أنّ الاهتمام بالصّوت والأصوات اللّغوية ليس جديداً وإنّما هو قديم قدّم النّطق الإنساني. وقد اهتمّ به القدماء من الهنود واليونانيين إلّا أنّ اهتمام الهنود كان أوسع وأدقّ ، ولم يُضارع الهنود في ذلك إلّا العرب فللغويّة تفرد في مجال الأصوات يشهد به أهلها وحتيّ الأجانب عنها ، فلقد أشاد بعض الباحثين الغربيين بجهود العرب في علم الأصوات على الرّغم من قلّة الإمكانيات وعدم وجود الآلات الحديثة التي توقّرت للمحدثين. يقول برجستراسر (Bergstrasser) الألمانيّ " لم يسبق الغربيين في البحث الصّوتي إلّا قومان من أقوام الشّرق وهما الهنود والعرب " (برجستراسر ، 1997م ، ص 11) ويقول فيرث (Firth): " إنّ علم الأصوات قد نما وشبّب في خدمة لغتين مقدّستين هما السنسكريتية والعربية. " (نادية رمضان النجار ، دت ، ص 37).

وللفلاسفة المسلمين أثر كبير في بناء الصّرح العلميّ عند العرب وذلك لما قدّموه من ثقافة كبيرة أغنت الفكر الإنساني عموماً والعربي على وجه الخصوص ، فعلى الرّغم من تأخّر الحقبة الزمنية التي يقع فيها الفلاسفة المسلمون إذا ما قيسوا بغيرهم من دارسي الأصوات اللغوية ، إلّا أنه لا يُمكن لأحدٍ من الدّارسين أن ينكر التطور الصّوتي الذي أحدثته المدرسة الفلسفية في دراسة الأصوات ، فلقد ميّزوا بين الصّوامت والمصوّتات وأدركوا مخارجهما وصفاتهما ، كما أحسّوا بالقيمة المعنوية لأصوات اللغة ، وبنية ألفاظها وخصائص المواد المشكلة لها ذلك ما يشير إليه ابن رشد (595 هـ) في قوله: " وإنّما صارت الألفاظ والأصوات تفعل في هاتين الصّناعيتين (الخطابة والشعر) هذا الفعل من جهة أنّها تخيل في المعنى رفعة أو خسة. وبالجملة أمراً زائداً على مفهوم اللفظ مثل غرابة اللفظ فإنّها تخيل غرابة المعنى والنغم كذلك يفيدُ فيه هذا المعنى أيضاً . " (أبي الوليد بن رشد ، 1967 ، ص 530).

وعلى نهج الفلاسفة المسلمين سارَ الأصواتيون المحدثون . فنجدُ من معالم التّلاقي في المجال الصّوتي الكثير من ذلك المصوّتات العربية التي وجدَ الفلاسفة المسلمون صعوبة في

دراستها ممّا جعل إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) لم يعنوا بها ، ونظروا إليها على أنها تابعة للصّوامت لا تستقلّ بنفسها في النطق كاستقلال الأصوات الصّامته .(أبو السعود أحمد الفخراي ، 1991 م ، ص 225). ويقول ابن سينا (ت 428 هـ): "أمّا المصوّتات فأمرها وتأثيرها عليّ كالمشكّل . " (ابن سينا ، 1983 م ص 85 . 126) . ونظر ابن رشد للمصوّتات نظرة سطحية مانحا الأولوية للحروف غير المصوتة يقول: " وبالجملة فينبغي أن تعلم أنّ الصوت يحدث من شيئين: أحدهما ما ينزل منزلة المادة وهو الذي يسمى حرفا غير مصوت ، والثاني منزلة الصورة وهو الذي يسمى حرفا مصوتا ويُسميه أهل لساننا الحركات وحروف المد واللين." (عبد الرحمن بدوي ، 1953 م ، ص 235). فالحروف غير المصوتة هي المادة والمصوتات هي الصورة والأوّل في نظر ابن رشد الاهتمام بالمادة لأنّ الصورة أمر ثانوي .

وإذا عدنا لأراء الأصواتيين المحدثين فيما يخصّ صعوبة المصوّتات فهم لا يخرجون عمّا قرّره الفلاسفة المسلمون يقول كمال بشر: " الحركات في كلّ اللغات تُمثّل صعوبة ظاهرة في الدرس النظري وفي الأداء الفعلي لها أيضا ذلك أنها تختلف اختلافا كبيرا باختلاف اللغات واختلاف البيئات واختلاف الأفراد في البيئة الواحدة ." (كمال بشر ، 2000 م ، ص 419) ويصرّح المستشرق الألماني (برجستراسر) بصعوبة المصوتات يقول: " فللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الأصوات الصامتة ، غير أنّ تحديدها وتمييزها مشكّل . " (برجستراسر 1997م ، ص 62) ويُرّجع إبركرومبي (Abercombie) صعوبة المصوّتات لخلوّها من ظاهرة الاحتكاك التي يمكن أن تكون وسيلة جيّدة لتبيّن مواضع إحداث الأصوات اللغوية من نحو ما هو حاصل في الصّوامت . (David Abercombie,1967, p 55) إنّ صعوبة دراسة المصوّتات لم تمنع الفلاسفة المسلمين والأصواتيين المحدثين من دراستها . فلقد نظر الفلاسفة للمصوتات على أنها طائفة مميزة من الأصوات اللغوية لها خصائص بعينها في البنى اللغوية من قبل صفاتها الصوتية وسلوكها في التّأليف ، ووظيفتها اللغوية ، وكثرة شيوعها. يقول الكندي (ت 256 هـ): "إنّ المصوتة أكثر الحروف بالطّبع في كلّ لسان." (الكندي ، 1987 م ، ص 236) ومحمد مراياتي ، ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيّان ، 1987 م ، ص 128) وفي تصوير رائع منه يُبيّن لنا الكندي قيمة الحروف المصوتة والفرق بينها وبين الحروف التي ليست بمصوتة فيعتبر الأوّل موضوعا والثانية صورة لكل لسان ، يقول : " إذا كانت الحروف المصوتة كالموضوع لكلّ لسان والتي ليست بمصوتة كالصورة لكلّ لسان

وكانت الصور الكثيرة تعتقبُ الموضعَ الواحدَ كالذهب الذي هو موضوع لِحليِّ وأوانٍ كثيرة فإنه قد يكون من الذهب التاج والإكليل والسّوار والجام والكأسُ وغيرُ ذلك من الحلي والأواني . فالذهب في أواني الذهب أكثرُ من جميع الصور المعقبة له. فكذلك الحروف المصوّتة التي هي موضوع لكلِّ نوعٍ من الكتب هي أكثر في كلِّ لسانٍ من التي ليست بالمصوِّتة ... " (الكندي ، 1987 م ، ص 215) فدورُ المصوّتات مميّزٌ جدًّا لأنَّ الصّوامت لا تُنطقُ بمعزلٍ عنها ، كما أنها تُساعدُها على الاتّصال ببعضها .

من هذه التّوطئة نلحظُ معالمَ التّلاقي بين الفلاسفة المسلمين والأصواتيين المحدثين ظاهرة جليّةٌ . فهل التّلاقي بين الطّائفتين في مجال دراسة المصوّتات العربية سيستمرُّ أم أنّ هناك معالم اختلاف هذا ما سنُحاول الإجابة عنه من خلال ثلاثة عناصر: في تعدّد المصطلح ، مخارج المصوّتات ، صفات المصوّتات .

1. في تعدّد المصطلح: لقد استعمل الأصواتيون المحدثون عدّة تسمياتٍ وألقابٍ للدلالة على المصوّتات العربية ، من ذلك نذكر: أصوات المد واللين والحركات (إبراهيم أنيس ، 1971 م ، ص 30 . 37 وينظر : جان كانتينو ، 1966م ، ص 20 . 38) وهي مصطلحات شاع استعمالها عند الفلاسفة المسلمين (الخوارزمي ، 1930 م ص 30 . 31 ، والقاضي أبي الوليد بن رشد 2010 م ، ص 221 . 222 وفخر الدين الرازي 1981 م ، 1 / 37 . 38 . 53 . 54 والفارابي ، دت ، 2 / 1072 ، وعبد الرحمن بدوي ، 1953 م ، ص 235) بالإضافة إلى مصطلح أصوات العلة(رمضان عبد التواب ، 1997 م ، ص 91 ، وينظر : تمام حسان ، 1986 م ، ص 136) والطلّيقات (محمد الأنطاكي ، دت ، ص 222) والصّوائت (محمد محمد داود ، 2001 م ، ص 15 وينظر : كمال بشر ، ص 217 . 424 وأحمد مختار عمر ، 1997 م ، ص 135). ومع تعدّد التسميات يبقى مصطلح (المصوّت) الذي تبناه الفلاسفة المسلمون هو الأصوب حيث يُقرُّ هنري فليش (Henri Fleche) أنّ استعمال مصطلح (المصوّت) أقوى في الدلالة من المصطلح الشائع في الدراسات الحديثة (الصّائت) " فالصّائت من حيث صيغته يعني المتّصف بالتصويت في ذاته ، أمّا المصوّت فيعني من هذه الوجهة ذلك أوّلاً كما يعني أنّه يمنح التصويت لغيره . " (هنري فليش ، 1983م ، ص 20) ويقول "كمال بشر" أنه على الرغم من أنّ جملة الدارسين القدامى قصروا استخدام مصطلح (المصوّتات العربية) على حروف المد (الحركات الطويلة) وحدها فإنّ هذا لا ينفى سمة التأثير السمعّي القوي عن الحركات القصار (الفتحة والضمة والكسرة) كما ينبئ عن ذلك بوضوح ما قرره الفارابي (ت 339هـ)

"..والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة والمصوتات القصيرة هي التي يسميها العرب الحركات"
 (الفارابي، دت، 2 / 1072) وأكّده الدرس الصوتي الحديث. (كمال بشر، 2000، ص 424)
 إنّ تعدّد المصطلح لم يمنع من أن تكون نقطة التلاقي بين الفلاسفة المسلمين
 والأصواتيين المحدثين هي عدد المصوتات الذي قدر بستة ثلاثة طويلة وثلاثة قصيرة عند كلا
 الفريقين (الكندي، 1987، م، 236. 237 ومحمد مراياتي، ويحيى مير علم ومحمد حسان
 الطيان، 1987، م، ص 128، 129، وابن سينا، 1983، م، ص 84، 85 وابن رشد، 2010، م
 ص 148 وينظر: أحمد مختار عمر، 1997، م، ص 313 وإبراهيم أنيس، 1952، م ص 144)
2. مخارج المصوتات: حدّد علماء الدراسات الصّوتية الحديثة موضع نُطق المصوّت بوضع
 اللسان وضعاّ معيّنا في الفم اتّجاه الحنك الأعلى، وبدرجة ارتفاع اللسان أو هبوطه، أو
 استوائه يتحدّد المصوّت ويصنّف.

أ. مخارج المصوتات الكبرى أو الطويلة: وهي ألف المد وواو المد وياء المد.

الألف: تُنطق بانبساط الشفتين مع فتحهما واستمرار خروج الهواء لحظة قصيرة. (فخري
 محمد صالح، 1994، م ص 49) ويأتي الألف مصوّتا دائما على عكس الواو والياء. وهو صوت
 يتّسع معه المخرج ويكون معه التجويف الفموي كبيرا جدا. (أمينة طيبي، 2005، م، ص
 163) لذلك نعتّه الفارابي بالتسفلّ يقول: "إمّا الطرف العالي وهو الألف." (الفارابي، دت، 2
 / 1073) و يصف ابن سينا محبس الألف بقوله: "و أمّا الألف المصوّتة فأظنّ أنّ مخرجها مع
 إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم" (ابن سينا، 1983، م، ص 84. 126) فالهواء أثناء خروجه مع
 صوت الألف لا تعترضه أيّ عقبة في أيّ نقطة من نقاط القناة الصّوتية. كما أنّ اللسان يهبط
 إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم، بحيث يستوي في قاع الفم. (إبراهيم أنيس، 1971
 م، ص 32) ورأى الفارابي أنّ الألف تمتزج مع الواو والياء في قوله: "والممزوجة إمّا ممزوجة
 من الألف والياء وإمّا من ألف وواو." (الفارابي، دت، 2 / 1073) ولعلّ الفارابي يريد هنا
 ظاهرتي إمالة الألف نحو الياء ونحو الواو حيث يسمي هنا ألف التفخيم. فأشار إلى ذلك دون
 أن يفصّل عكس النحاة واللغويين. (أمينة طيبي، 2005، م، ص 164)

الواو: تُنطق باستدارة الشفتين مع ضمّهما في فتحة واستمرار خروج الهواء منها لحظة
 قصيرة. (فخري محمد صالح 1994، م، ص 49. 50) فحجم الفراغ الفموي داخل الفم مع الواو
 أقلّ شساعة من الألف ممّا دعا إلى تسميته بالمتوسط. يقول الفارابي: "وإمّا المتوسط وهو
 الواو." (الفارابي، دت، 2 / 1073) ويحدد ابن سينا محبسها كالآتي "و أمّا الواو المصوّتة فأظنّ

أنَّ مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى فوق". (ابن سينا 1983م ، ص 84. 126) فالهواء مع الواو المصوّتة وعلى غرار الألف المصوّتة يتعرّض للتضيق الذي سببه ارتفاع في اللسان ولكن ابن سينا لم يوضّح أيّ جزء من اللسان الذي يرتفع . وفي حقيقة الأمر أنَّ الجزء الخلفي من اللسان هو الذي يرتفع نحو الجزء الخلفي من الحنك ، أو ما يطلق عليه الطَّبَق اللَّيِّن Soft palate . (غالب فاضل المطلبي 1984 م ، ص 29)

الياء: تُنطق بانبساط الشفتين واستمرار خروج الهواء منها لحظة قصيرة (فخري محمد صالح ، 1994 م ، ص 50).

ويرى ابن سينا أنَّ الياء المصوّتة "مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل"

(ابن سينا ، 1983 م ، ص 84. 85. 126)

فالياء أيضا يجد معها الهواء تضيقا وابن سينا أيضا لم يوضّح أيّ جزء من اللسان الذي يرتفع وفي الواقع أنّه مع صوت الياء يرتفع الجزء الأمامي من اللسان نحو الجزء الأمامي من الحنك. أو ما يُطلق عليه الطَّبَق الصَّلْب Hard palate (غالب فاضل المطلبي ، 1984 م ص 29) فالياء يحدث معها تضيق داخل الفم أكبر منه مع الواو . (أمينة طيبي ، 2005 م ص 165) ولعلّ هذا الذي أراد الفارابي أن يُعبّر عنه لكن دونما تفصيل أو إشارة ، فقال: "وأما الطرف المنخفض وهو الياء."

(الفارابي ، دت ، 2 / 1073)

ب. مخارج المصوتات الصغرى أو القصيرة: وهي الألف والواو والياء القصيرة أو الحركات .

الفتحة: تتخذ الشفتان وضع الانبساط واللسان يكادُ يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه . (فخري محمد صالح ، 1994 م ، ص 48 وينظر: كمال بشر ، 2000 م ص 466 ، وإبراهيم أنيس ، 1971 م ، ص 37 ورمضان عبد التواب ، 1997 م ، ص 92)

وقد اعتبر ابن سينا محابس المصوتات الصغرى من نفس محابس المصوتات الكبرى . يقول عن مخرج الفتحة "و أمّا الألف المصوّتة وأختها الفتحة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم . " (ابن سينا 1983 م ، ص 84. 85) في الرواية الثانية يقول: " لكنّي أظنّ أنّ الألف الصغرى والكبرى مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم " (ابن سينا 1983 م ، ص 126) واكتفى ابن رشد بالقول إنّ مخرج الفتحة يتوسط مخرج الضمة التي هي قريبة من الحلق ومن مخرج الكسرة" (ابن رشد ، 2010 م ، ص 148).

وأولى الرازي عناية كبيرة للمصوتات حيث اهتمَّ بإبراز دور الشفتين ، ووضعية اللسان أثناء إنتاجها . (خثير عيسى بوخاتم مولاي علي ، 2009 م ، ص 60) يقول عن مصوت الفتحة : " من أراد التلفظ بالفتحة فإنه لا بدَّ له من فتح الفم بحيث تنتصبُ الشفة العليا عند ذلك الفتح . " (الفخر الرازي ، 1981 م ، 1 / 55) أي أنَّ الشفتين مع الفتحة تفتحان ، وتتخذان وضع الاستواء الذي هو الانتصاب . والاستواء في كلام العرب قد يكون بمعنى الانتصاب . (الفخر الرازي ، 1981 م ، 2 / 169).

ويضيفُ قائلاً: " ثم الفتحة يكفي فيها عملٌ ضعيف لتلك العضلة الصلبة الواصلة إلى طرفي الشفة . " (الفخر الرازي ، 1981 م ، 1 / 54)

الضمّة: تتخذ الشفتان شكل الاستدارة ، واللسان داخل الفم في وضع بين المستويين السابقين . (فخري محمد صالح 1994 م ، ص 48 . 49) أي ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان نحو الجزء الخلفي من الحنك أو ما يطلق عليه الطباق اللين (Soft palate) . (كمال بشر 2000 ، ص 466 ، وإبراهيم أنيس 1971 م ، ص 37 ، ورمضان عبد التواب ، 1997 م ، ص 93). يقول ابن سينا عن مخرج الضمة "وأما الواو المصوتة وأختها الضمة فأظنَّ أنَّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى فوق . " (ابن سينا ، 1983 م ص 84 . 85) ويؤكد نفس الحقيقة في روايته الثانية قائلاً : "والواوان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين واعتماد في الإخراج على ما يلي فوق اعتمادا يسيرا . " (ابن سينا 1983 م ص 126) ويقول ابن رشد عن الضمة : "يوجد مخرجها أبدا في الحرف الواحد بعينه مُتقدما على مخرج الفتحة والكسرة فيه أعني أنها أقرب إلى الحلق في المخرج ...ولما كان مخرج الضمة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة ... " (ابن رشد ، 2010 م ، ص 147 . 148)

ووضَّح الرازي أنَّ من أراد "التلفظ بالضمّة فإنه لا بدَّ له من ضمِّ شفتيه أولا ثم رفعهما ثانيا". (الفخر الرازي 1981 م ، 1 / 55) كما أشار إلى دور الشفتين في إنتاج مصوت الضمة قائلاً: "أثقل الحركات الضمة ، لأنها لا تتم إلا بضمِّ الشفتين ، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلّبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة . " (فخري محمد صالح ، 1994 م ، ص 48)

الكسرة: تتخذ الشفتان وضع الانبساط واللسان في أعلى مُستوى له من الارتفاع . (فخري محمد صالح ، 1994 م ص 48) أي يرتفع الجزء الأمامي من اللسان نحو الجزء الأمامي من الحنك أو ما يُطلق عليه الطباق الصلب (Hard palate) مع انفراج الشفتين . (كمال بشر 2000 م ، ص 227 ، وينظر : إبراهيم أنيس ، 1971 م ص 37 ورمضان عبد التواب 1997 م

ص 92) ويصف ابن سينا مخرج الكسرة بقوله: "وَأَمَّا الْيَاءُ الْمَصَوِّتَةُ وَأَخْتَهَا الْكَسْرَةُ فَأُظْنَى أَنَّ مَخْرَجَهُمَا مَعَ إِطْلَاقِ الْهَوَاءِ مَعَ أَدْنَى تَضْيِيقٍ لِلْمَخْرَجِ وَمِيلٍ بِهِ سَلْسٌ إِلَى أَسْفَلٍ." (ابن سينا 1983 م، ص 84-85) ويُصَيِّفُ قَائِلًا: "وَالْيَاءُ أَنْ تَكُونَ الْمَزَاحِمَةَ فِيهِمَا بِالْاعْتِمَادِ عَلَى مَا يَلِي أَسْفَلَ قَلِيلًا." (ابن سينا، 1983 م ص 126) يُوضِّحُ الرَّازِي أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَلَقَّظَ بِالْكَسْرَةِ "فَإِنَّهُ لَا يَدَّ لَهُ مِنْ فَتْحِ الْفَمِ فَتَحًا قَوِيًّا. وَالْفَتْحُ الْقَوِيُّ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِانْجِرَارِ اللَّحْيِ الْأَسْفَلِ وَانْخِفَاضِهِ. فَلَا جَرْمَ يَسْمَى ذَلِكَ جَرًّا وَخَفْضًا وَكَسْرًا لِأَنَّ انْجِرَارَ الْقَوِيِّ يُوجِبُ الْكَسْرَ." (الفخر الرازي، 1981 م، 1 / 55) وَيُصَيِّفُ قَائِلًا: "وَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَإِنَّهُ يَكْفِي فِي تَحْصِيلِهَا الْعَضَلَةَ الْوَاحِدَةَ الْجَارِيَةَ." (الفخر الرازي، 1981 م، 1 / 54) فَمَعَ الْكَسْرَةَ تَعْمَلُ عَضَلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الشِّفَّةُ السُّفْلَى مَعَ انْفِتَاحِ الشِّفَتَيْنِ فَتَحًا قَوِيًّا وَلَا يَتَأْتَى إِلَّا بِانْسِحَابِ اللَّحْيِ وَانْجِرَارِهَا إِلَى أَسْفَلٍ كَمَا قَالَ الرَّازِي.

فِي ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ يُمَكِّنُ الْقَوْلَ إِنَّ الْفَلَّاسِفَةَ الْمُسْلِمِينَ أَدْرَكُوا مَخَارِجَ الْمَصَوِّتَاتِ وَبَشَكَلَ دَقِيقٍ رَغْمَ اعْتِرَافِهِمْ بِصَعُوبَتِهَا. حَيْثُ مَكَّنَهُمْ حَسَّهْمُ الْمَرْهَفِ وَخَبْرَتُهُمْ الْكَبِيرَةَ أَنْ يَصْفُوا الْمَصَوِّتَاتِ وَصَفًا دَقِيقًا قَارِبَ مَعْطِيَاتِ الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ الْحَدِيثِ. وَإِذَا كَانُوا قَدْ تَحَدَّثُوا بِإِسْهَابِ نَوْعًا مِمَّا عَنِ مَخَارِجِ الْمَصَوِّتَاتِ فَإِنَّ حَدِيثَهُمْ عَنِ صِفَاتِهَا كَانَ مُخْتَصِرًا جَدًّا حَيْثُ لَمْ يَخْصُصُوا دِرَاسَةً يَعْضُضُونَ فِيهَا لَصِفَاتِ الْمَصَوِّتَاتِ. وَعَلَيْهِ كَانَ لَزَامًا أَنْ نَسْتَخْرِجَ صِفَاتِهَا مِنْ وَصْفِهِمْ لِمَحَابِسِهَا.

3. صِفَاتُ الْمَصَوِّتَاتِ: رَغْمَ إِحْسَاسِ الْفَلَّاسِفَةِ بِقِيَمَةِ الْمَصَوِّتَاتِ إِلَّا أَنَّ صِفَاتِهَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا الْكَثِيرُ مِنْهُمْ لِاحْتِلَالِهَا الشَّكْلَ الثَّانَوِيَّ فِي الْكِتَابَةِ. "فَالْمَصَوِّتَاتُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ إِنَّمَا تَظْهَرُ فِي الْخَطِّ إِذَا كَانَتْ عِظَامًا أَوْ طَوِيلَةً فَأَمَّا صَغَارُهَا أَوْ الْقَصِيرَةَ أَوْ الْحَرَكَاتِ فَإِنَّهَا لَا تَظْهَرُ فِي الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ أَوْ الصِّفَةِ أَوْ التَّصْرِيفِ أَوْ آخِرِ ذَلِكَ فَإِنَّ وَاءَ (مُحَمَّدِ) الَّتِي فِيهَا بَيْنُ الْمِيمِ وَالْحَاءِ لَا تَظْهَرُ فِي الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ لِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ وَكَذَلِكَ أَلْفَ (مُحَمَّدِ) الَّتِي فِيهَا بَيْنُ الْحَاءِ وَالْمِيمِ الْآخَرَى، وَأَلْفَهُ الَّتِي بَيْنَ الْمِيمِ وَالدَّالِّ فَإِنَّهَا صَغَارٌ فَلِذَلِكَ لَمْ تَظْهَرُ فِي الْخَطِّ. فَجَمِيعُ الْمَصَوِّتَةِ الصَّغَارِ تَسْقُطُ فِي الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ." (الْكَنْدِيُّ، 1987 م، ص 236-237) وَمُحَمَّدُ مَرَايَاتِي، وَيَحْيَى مِيرْ عِلْمُ، وَمُحَمَّدُ حَسَانُ الطَّيَّانُ، 1987 م، ص 129)

أ. ثِقَلُ الْمَصَوِّتَاتِ: لَقَدْ قَدَّمَ الرَّازِي تَرْتِيبًا لِلْمَصَوِّتَاتِ الْقَصِيرَةِ وَفَقًا لِعَمَلِ عَضَلَاتِ الشِّفَتَيْنِ فَيَرَى أَنَّ: "أَثْقَلُ الْحَرَكَاتِ الضَّمَّةُ لِأَنَّهَا لَا تَتَمُّ إِلَّا بِضَمِّ الشِّفَتَيْنِ. وَلَا يَتَمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلِ الْعَضَلَتَيْنِ الصَّلْبَتَيْنِ الْوَاصِلَتَيْنِ إِلَى طَرَفِي الشِّفَةِ. وَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَإِنَّهُ يَكْفِي فِي تَحْصِيلِهَا الْعَضَلَةَ

الواحدة الجارية ، ثم الفتحة يكفي فيها عملٌ ضعيف لتلك للعضلة ، وكما دلّت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه فالتجربة تُظهره أيضا . " (الفخر الرازي ، 1981 م ، 1 / 54) فالضمة أقوى الحركات لأنها تُعمل العضلتين معها ، ولعلّه يقصدُ عضلة الشفة العليا وكذا السفلى ثم تليها الكسرة التي تعملُ معها عضلة واحدة . وأغلبُ الظن أنها الشفة السفلى لتجرّ معها اللّحى كما شرح أثناء تبيان مُخرجها وعلى العكس من ذلك تنتصبُ الشفة العليا مع الفتحة لكن ومع ذلك فإنّ عمل عضلتها لا يكون قويا (أمانة طيبي ، 2005 م ، ص 169)

ب. الاختلاف في الكمية : لقد أحسنَ الفلاسفة المسلمون كما يُحسّ المحذثون اليوم بأنّ الفرق بين المصوتات الطويلة والمصوتات القصيرة لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية لا في الكيفية ، بمعنى أنّ وضع اللسان في كليهما واحد ولكنّ الزمن يقصر ويطول في كلّ صوت فإن قصر كان الصوت قصيرا وإذا طال كان الصوت طويلا. فعند إشباع الحركة ينتج لنا الصوت الذي هي بعض منه. فعند إشباع الفتحة نحصل على الألف وعند إشباع الضمة نحصل على الواو وعند إشباع الكسرة نحصل على الباء . (ميرفت يوسف كاظم المحياوي ، 2010 م ص 236 والنويري ، 2003 م ، 1 / 229) وهذا ما أقرّه الفارابي في قوله: "وتمدّ حركته حتى يصير مصوتا طويلا يمتدّ مع النغمة. " (الفارابي دت 2 / 1121) فالفارابي يُنبّه إلى أنّ المصوتات القصيرة لا تختلف عن الطويلة إلا في عدم الامتداد قال: "وأما المصوتات القصيرة فإنها لا تمتدّ مع النغم ما دامت على قصرها فإذا ساوقت النغمة امتدّت حتى لا يُفرّق بينها وبين الطويلة" (الفارابي دت ، 2 / 1074. 1075) ونفس الحقيقة اهتدى إليها ابن سينا حيث بيّن أنّ المصوتات الكبرى لا تختلف عن الصغرى إلا في الكمية يقول : "ولكّني أعلم يقينا أنّ الألف الممدودة المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة ، وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصحّ فيها الانتقال من حرف إلى حرف وكذلك الواو المصوّتة إلى الضمة والياء المصوّتة إلى الكسرة " (ابن سينا ، 1983 م ، ص 85) وفي الرواية الثانية يقول : " وكلّ صغرى فهي واقعة في أصغر الأزمنة ، وكلّ كبرى ففي أضعافها " (ابن سينا 1983 م ، ص 126) فقد أصاب ابن سينا في إشارته إلى كميّة المصوّتات الطويلة بالنسبة لكميّة المصوّتات القصيرة بحيث لا تنحصر كميّة المصوّتات الطويلة في ضعف كميّة المصوّتات القصيرة بل تقع في ضعفها في مواطن وتتجاوز ضعفها في مواطن أخرى. ونسبة زيادة كميّة المصوّتات الطويلة عن ضعف كميّة المصوّتات القصيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضعف. (زيد خليل القرالة ، 2004 م ص 58) ويقول جان كانتينو (John Cantinon) في المدى الذي يستغرقه طول الحركة

"يُطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتدّ فيها إخراج النفس امتداداً يصيرُ معه مدى النطق بها مساوياً لمدى النطق بحركتين بسيطتين بل وقد يتعدّى ذلك " (جان كاتينو، 1966، م، ص 145 . 146) بإشارة ابن سينا تُبينُ إحساسه بتجاوز كميّة المصوتات الطويلة لضعف كميّة المصوتات القصيرة في بعض الحالات " فهي ضعف أو أضعاف". ومن هنا فإنّ رأي ابن سينا أدقّ من آراء المحدثين (سعید محمد شواهنة، 2007، م، ص 47) الذين جزموا بأنّ المصوتات الطويلة تقع في ضعف المصوتات القصيرة. فقد سجّل على جهاز Spectrographe أنّ الفترة الزمنية لإنتاج الحركة القصيرة تساوي 300 د / ثا، بينما تصلُ إلى 600 د / ثا مع الحركات الطويلة (الألف والواو والياء المديتين) (عبد القادر عبد الجليل 2010 م، ص 39) كما توصل ابن رشد إلى نفس الحقيقة التي توصل إليها ابن سينا، فبيّن أنّ المصوتات الكبرى متولدة عن الصغرى بحيث متى زدنا في كمية هذه الأخيرة بأن مددناها حدثت المصوتات الكبرى، يقول: "فالمدة الحادثة عن الضمة سميت واوا، وجعل شكلها شكل الواو في الخط لأنها واو منطوق بها وكذلك الأمر في الهدة الحادثة عن الفتحة جعل شكلها في الخط شكل الألف وليست الألف المنطوق بها التي هي حرف بالحقيقة، والمدة الحادثة عن الكسرة جعل شكلها ياء ولكونها مدّات سمّوها حروف مدّ ولين." (ابن رشد 2010 م، ص 148 . 149) ولم يختلف كلام الرازي عن سابقه بل نجده يُردّد الفكرة ذاتها من ذلك قوله: "الحركات أبعاض المصوتات والدليل عليه أنّ هذه المصوتات قابلة للزيادة والنقصان، ولا طرف في جانب النقصان إلاّ هذه الحركات. ولأنّ هذه الحركات إذا مدّت حدثت المصوتات وذلك يدل على قولنا." (الفخر الرازي، 1981، م، 1 / 38)

ح. امتداد النغم: لقد اعتبر الفارابي المصوتات الطويلة يمتدّ معها النغم بعكس القصيرة التي لا يمدّ معها الصوت لأنّ هذه الأخيرة إذا مدّ معها تحوّلت إلى نظائرها الطويلة يقول: "ويُجمع إلى هذه من غير المصوتات الممتدة ... وأما المصوتات فإنها لا تمتدّ مع النغم ما دامت على قصرها." (الفارابي، دت، 2 / 1074)

د. الوضوح السّعي: رغم الصعوبة التي واجهها الفلاسفة في فهم عمل جهاز النطق في أثناء حدوث المصوتات إلاّ أنهم راعوا طبيعتها وقوة وضوحها في السمع، فتوصلوا لأهمّ صفة لجهاز النطق في أثناء ذلك وهي حرية خروج الهواء وعدم وجود أية إعاقة في جهاز النطق في أثناء إحداث المصوتات عامة. وهو ما عبّر عنه ابن سينا بخروج الهواء سلساً غير مزاحم. (ابن سينا، 1983، م، ص 84 . 85 . 126) وفي نفس الصّد يقول (جان كاتينو): "تختصّ الحركات

بانعدام قيام الحاجز في جهاز التّصويت فيمرّ النّفس المجهور حرّاً طليقا عند النّطق بها . " (جان كانتينو، 1966 م، ص 148، وينظر: أحمد مختار عمر 1997 م، ص 135، وكمال بشر 2000: م، ص 217، ورمضان عبد التّواب، 1997 م، ص 91) ورغم أنّ الفلاسفة لم يشيروا إلى مصطلح الوترين الصوتيين ودورهما في حالة النطق بالمصوتات إلا أنّ تصريحهم بخلو مجرى الهواء أثناء النطق بها جعل المحدثين يتوصلون إلى اعتماد أصوات المد على اهتزاز الوترين الصوتيين الذي يولّد الجهر فالصوائت كلها مجهورة . (عبد القادر عبد الجليل 2006م، ص 28 وينظر: جان كانتينو، 1966 م، ص 143 وكمال بشر، 2000 م، ص 217 ورمضان عبد التّواب، 1997 م، ص 91) ذلك أنّ الحركة لا يمكن أن تكتسب جانبها التميّزي وتؤدي وظيفتها داخل البنى اللغوية إلا إذا كانت مجهورة وإلا فإنّها لا تعدو أن تكون زفيرا EXPIRATION . (عبد القادر عبد الجليل، 2006 م، ص 28) استنادا لكلّ ما تقدّم نستطيع أن نقول إنّ حديث الفلاسفة المسلمين عن المصوتات العربية يقفّ على قدم المساواة مع معطيات الدرس الصوتي الحديث ونقاط التلاقي بين الفريقين فيما يخصّ هذه الطائفة من الأصوات ظاهرة جليّة وهذا وإن دلّ على شيء وإتّما يدلّ على أنّ ثرائنا العربي يحتوي على مُدوّنة في الصوتيات العربية في أبعي صورتها والمطلوب هو الدراسة والجمع والترتيب والاجتهاد .

قائمة المصادر والمراجع :

- (1) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 4، 1971 م .
- (2) البحث اللغوي عند إخوان الصفا: أبو السعود أحمد الفخراني، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1411هـ، 1991 م
- (3) التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3، 1417 هـ، 1997م .
- (4) التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1401هـ 1981م.
- (5) تلخيص الخطابة: تأليف: أبي الوليد بن رشد، تحقيق وشرح: محمد سليم سالم، الكتاب الرابع عشر، القاهرة دط، 1387هـ، 1967 م .
- (6) الحركات في اللغة العربية. دراسة في التشكيل الصوتي. زيد خليل القرالة، عالم الكتب الحديث إربد، لبنان ط 1 1325 هـ، 2004 م .
- (7) دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1418هـ، 1997 م .
- (8) الدرس الصوتي عند ابن الجزري: ميرفت يوسف كاظم المحيوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط 1، 1431 هـ، 2010 م .
- (9) الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين: رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه، أمينة طيبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سيدي بلعباس، 1425هـ، 2005 م .

- (10) دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي عربي : صالح القرماذي مشتريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس دط ، 1966م .
- (11) رسالة أسباب حدوث الحروف: الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا ، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم ، مراجعة وتقديم: شاعر الفحام ، أحمد راتب النفاخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ط 1 ، 1403 هـ ، 1983 م .
- (12) رسالة في استخراج المعنى : الكندي ضمن كتاب : علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم: محمد مراياتي ، ويحيى مير علم ، ومحمد حسان الطيان ، تقديم : شاعر الفحام مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1407 هـ 1987 م .
- (13) شرح طيبة النشر في القراءات العشر : أبي القاسم محمد بن محمد بن علي النويري ، تقديم وتحقيق: مجدي محمد سرور وسعد باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424 هـ ، 2003 م .
- (14) الصوائت عند فخر الدين الرازي . دراسة تطبيقية في التفسير الكبير . خثير عيسى بوخاتم مولاي علي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، دط ، 2008 م . 2009 م
- (15) الصوائت والمعنى في العربية . دراسة دلالية ومعجم . محمد محمد داود ، دار غريب ، القاهرة ، دط 2001 م .
- (16) الضوروي في النحو: القاضي أبي الوليد بن رشد ، تحقيق ودراسة: منصور علي عبد السميع ، الصحو للنشر والتوزيع مصر ، ط 1 ، 1421 هـ ، 2010 م .
- (17) العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد ، هنري فليش ، تعريب وتحقيق : عبد الصبور شاهين ، دار المشرق بيروت ، ط 2 ، 1983 م .
- (18) علم الأصوات : ص كمال بشر ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، دط ، 1420 هـ ، 2000 م .
- (19) علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم ، محمد مراياتي ويحيى مير علم ، ومحمد حسان الطيان ، تقديم: شاعر الفحام ، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ، 1407 هـ 1987 م .
- (20) فن الشعر لأرسطو طالس مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد : ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، دط ، 1953 م
- (21) في الأصوات العربية . دراسة في أصوات الهد العربية . غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد دط ، 1984 م .
- (22) القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين: سعيد محمد شواهنة ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان ط 1 ، 2007 م .
- (23) كتاب الموسيقى الكبير : أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، تحقيق وشرح : غطاس عبد الملك خشبة مراجعة وتصدير: محمود أحمد الحفني ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، دط ، دت .
- (24) اللغة العربية أداء ونطقا وإملاء وكتابة: فخرى محمد صلح ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط 2 ، 1994 م .
- (25) اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين: نادية رمضان النجار ، مراجعة وتقديم ، عبده الراجحي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية ، دط ، دت .
- (26) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 1417 هـ 1997 م .

- (27) المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية ، عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن ، ط1 ، 1426 هـ ، 2006 م .
- (28) مفاتيح العلوم ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي ، راجعه وعلق على حواشيه محمد كمال الدين الأدهمي ، قام بطبعه وتصحيحه وترقيمه: عثمان خليل ، مصر ، ط 1 ، 1349 هـ 1930 م .
- (29) مناهج البحث في اللغة ، تمام حسّان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب ، دط ، 1407 هـ 1986 م .
- (30) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 2 ، 1952 م .
- (31) هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي: عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1431 هـ ، 2010 م .
- (32) الوجيز في فقه اللغة ، محمد الأنطاكي ، مطبعة دار الشرق ، بيروت ، ط 3 ، دت ، ص 222 .
- (33) Elements of general phonetics, by : David Abercombe, Edinburgh university press, 1967, p 55